سورة الطارق

دراسة بلاغية تحليلية

م.د.عمار إسماعيل أَحمد*

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/٤/١ تأريخ القبول: ٢٠١٣/٥/٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الطارق: ١– ١٧] .

* قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة الموصل.

التوطئة

بين يدي السورة

تسمية السورة:

سميت بـــ(سورة الطارق) في كتب التفسير. [١] وكتب السنة، [٢] لوقوع هـــذا اللفظ في أولها. وترجمت بـــ {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} في "تفسير الطبري". [٣]

نزولها وتعدادها:

السورة مكية بالاتفاق نزلت قبل سنة عشر من البعثة[٤]. أخرج أحمد بن حنبـــل عن خالد بن أبي جبل العدواني عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَبْصَرَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَشْرِقِ ثَقِيفٍ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَوْسٍ، أَوْ عَصًا حِينَ أَتَاهُمْ يَبْتَغِي عِنْدَهُمُ النَّصْرَ، قَـــالَ: " فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ حَتَّى خَتَمَهَا"، قَالَ: فَوَعَيْتُهَـــا فِـــي الْجَاهِلِيَّـــةِ وَأَنَـــا مُشْرِكٌ، ثُمَّ قَرَأْتُهَا فِي الْإِسْلَامِ[٥]. وهي سبع عشرة آية، وإحدى وستون كلمـــة، ومائتـــان

---

(١) ينظر:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمـــر الزمخشري (ت ٥٣٨هـــ)تح، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت ٧٣٥/٤.

(٢) ينظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم، الدارمي، محمد بن حبان، التميمـــي، البُستي (ت ٣٥٤هـــ) تح، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعـــة الثانيـــة، ١٤١٤ هـــ – ١٩٩٣م باب ذِكْرُ الْقَدْرِ الَّذِي يُقْرَأُ بِهِ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ ١٣٥/٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـــ) تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـــ – ٢٠٠٠ م ٣٤٩/٢٤.

(٤) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطـــاهر بـــن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـــ) دار سحنون للنشر والتوزيـــع – تـــونس١٤١٧ هـــــ – ١٩٩٧ م ٢٥٧/٣٠

(٥) ينظر: مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـــــ) تـــح، شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـــ – ٢٠٠١ م ٢٨٨/٣١.

وتسعة وثلاثون حرفاً[١]. وعددها في ترتيب نزول السور السادسة والثلاثين. نزلت بعد سورة البلد، وقبل سورة القمر ورقمها في المصحف العثماني السادسة والثمانون. [٢]

اشتملت السورة الكريمة على أغراض هي[٣]:

١- إثبات إحصاء الأعمال والجزاء عليها.

٢- إثبات إمكان البعث بنقض ما أحاله المشركون ببيان إمكان إعادة الأجسام. وأدمج في ذلك التذكير بدقيق صنع الله وحكمته في خلق الإنسان.

٣- التنويه بشأن القرآن.

٤- تثبيت النبي ﷺ ووعده بأن الله منتصر له غير بعيد.

مناسبتها لما قبلها ولما بعدها:

السورة مرتبطة بما قبلها من ناحيتين:

ابتداء السورتين بالقسم بالسماء كسورتي (الانشقاق) و(الانفطار) إذ إنَّ التشابه في الكلام عن البعث والمعاد وعن صفة القرآن للردّ على المشركين المكذّبين به وبالبعث، ففي سورة البروج ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾، وفي هذه السورة: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ ﴾، وفي السورة السابقة: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج، وفي هذه السورة: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ ﴾[٤].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، (ت ٤٢٧هـ)تح، أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م ١٧٧/١٠.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولى مارس١٤١٨ هـ ١٩٩٨م ٣٥١/١٥.

(٣) ينظر: المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن، علي بن نايف الشحود: ١٤٨٠. (د. ت)، (د. م)

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م ١٧١/٣٠.

"لما تقدم في آخر البروج أن القرآن في لوح محفوظ ؛لأن منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شيء، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين والمؤالفين، ليجازى على أعماله يوم إحقاق الحقائق العلائق، فقال مقسماً على ذلك لإنكارهم له: (والسماء) أي ذات الأنجم الموضوعة لحفظها من المردة لأجل حفظ القرآن المجيد الحافظ لطريق الحق"(١). مناسبتها لما قبلها هي نسق متّسق مع ما سبقها، في عرض أحداث يوم القيامة، وإرهاصاتها، تقريراً، وتوكيداً لهذا اليوم الناس بأن ما فيه غير صدق. وتهديد المشركين الذين آذوا المسلمين. (٢)

محاور السورة:

* هذه السورة الكريمة من السور المكية، وهي تعالج بعض الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، إذ إنَّ محور السورة يدور حول الإيمان بالبعث والنشور، وإقامة البرهان الساطع، والدليل القاطع على قدرة الله جل وعلا على إمكان البعث، فإن الذي خلق الإنسان من العدم، قادر على إعادته بعد موته.

* ابتدأت السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات الكواكب الساطعة، التي تطلع ليلاً لتضيء للناس سبلهم، ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، أقسم تعالى على أن كل إنسان، قد وكل به من يحرسه، ويتعهد أمره من الملائكة الأبرار ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾

* ثم ساقت الأدلة والبراهين، على قدرة رب العالمين، على إعادة الإنسان بعد فنائه ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾

* ثم أخبرت عن كشف الأسرار، وهتك الأستار في الآخرة عن البشر، حيث لا معين للإنسان ولا نصير ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) تح، عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م، ٣٨٥/٨.

(٢) ينظر: المفَصَّلُ في موضوعات سور القرآن، ١٤٨٠.

* وختمت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم، معجزة الرسول محمد ﷺ الخالدة، وحجته البالغة إلى الناس أجمعين، وبينت صدق هذا القرآن، وأوعدت الكفرة المجرمين بالعذاب الأليم لتكذيبهم بالقرآن الساطع المنير. [1] ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدًا ١٧ ﴾

افتتح القرآن الكريم كثيراً من السور القرآنية بالقسم، وأسلوب القسم في اللغة العربية من المؤكدات المشهورة، التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وعلى أسلوب كلامهم، ومناحي خطابهم، وكان من عادتهم أنهم إذا قصدوا توكيد الأخبار وتقريرها، جاءوا بالقسم، وعلى هذا جاءت في القرآن الكريم أقسام متنوعة، في موضوعات شتى، لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد. وهو للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد، فجاء القسم في كتاب الله، لإزالة الشكوك، وإحباط الشبهات، وإقامة الحجة، لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر، ولا سيما في الأمور العظيمة التي أقسم عليها.

لقد أقسم الله بمخلوقاته مع نهيه عن القسم بغيره، للإشارة إلى أن هذه المخلوقات، ما هي إلا آيات يستنير بها أولو الألباب في مناهج الاستدلال على وجود الصانع الحكيم، ولتصحيح العقائد الباطلة، فالقسم بالسماء والشمس وأمثال ذلك، فيه رد على من اعتقدوا ألوهية الكواكب، وللفت الأنظار إلى الكون وما يحويه من حقائق وأسرار، ونظام بديع محكم، ولتقرير أن الكتاب الذي جاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منزل من عند الله، وأن الله تكفل بحفظه من التبديل، والتحريف، والنقص، والزيادة، وأنه كتاب هداية، ينير البصائر والأبصار، لتهتدي إلى أقوم طريق [2]. وفي هذا المقام نعرض ما توصلت إليه الدكتورة عائشة عبد الرحمن في مسألة ابتداء القسم بالواو فتقول: " والذي اطمأننت إليه بعد طول التدبر لسياقها في الآيات

(١) ينظر: المفَصّلُ في موضوعات سور القرآن، ١٤٨٣.

(٢) ينظر: أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته. . . وأغراضه، د. سامي عطا حسن، مكتبة صيد الفوائد، المملكة الأردنية الهاشمية، (د. ت): ١–٢.

المستهلة بالواو، هو أن هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغي، هو اللفتُ بإثارة بالغة إلى حِسِّيات مُدرَكة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة، توطئة إيضاحية لبيانِ معنوياتِ مُمارَى فيها، أو تقرير غيبياتِ ليست من الحسيات والمدركات". (١)

من بلاغة القسم:

١- إن القسم الاستدلالي يشرك السامع في استنباط الدليل، ويخفف من عناده وخصامه، فيشعر أنه تعرف وتأمل، ولينشط المخاطب، ويشركه في الفهم، والبحث، والاستنباط، حتى ليتوهم أنه هو الذي اهتدى إلى الحق بنفسه.

٢- ومن ضروب بلاغة القسم أنه تقديم لتوثيق الصدق قبل ذكر الدعوى، لأنه يقرع أذني المخاطب، فيصغي ويترقب ما بعده، ثم تجيء الدعوى فيسهل قياده لها، ولكنه إذا فوجئ بالدعوى التي ينكرها، انصرف عنها ونفر منها(٢).

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت ١٤١٩هـ) دار المعارف – القاهرة، ٢٤٨.

(٢) ينظر: أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم بلاغته. . . وأغراضه، ٣٤

المحور الأول: من الآية الأولى إلى الآية الرابعة بيان عظم خلق الله للسماء ونحوها والإقسام على ذلك بشأن حفظه لكتابه العزيز وحفظ الإنسان وأعماله.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ ﴾

هما قسمان: "السماء" قسم، و"الطارق" قسم[١]. وذهب ابن هشام وابن عاشور وغيرهما إلى أن الواو الثاني حرف عطف، وحجتهم أن تعداد القسم يحتاج إلى تعداد جوابه. [٢]، ولاحجة في ذلك.

أقسم الله تعالى بـ(السماء المعروفة) في قول جمهور المفسرين، وقال قوم: السماء هنا، المطر[٣]، والعرب تسميه سماء، لما كان من السماء، وتسمي السحاب سماء[٤]، ومن ذلك قول جرير: [الوافر]

إذا نزلَ السَّماءُ بِأرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإنْ كانوا غِضابا[٥]

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ) تح، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣ ه- ٢٠٠٣ م، ١/٢٠.

(٢) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام (ت ٧٦١هـ) تح، د. مازن المبارك و محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥، والتحرير والتنوير ٣٠/٢٥٧.

(٣) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم، ابو زيد عبد الرحمن الثعالبي (٨٧٥هـ)تح، محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، ٥/٥٧٤.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ) تح، عبد السلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت ٥/٤٦٤.

(٥) لم أجده في ديوانه، وينظر: المحرر الوجيز ٥/٤٦٤.

وقد ضَعَّفَ هذا القول الغرناطي[1]. وأرى أن القولين يحتملان وهذا من روعة كتاب الله العزيز، ولاسيما إذا ما نظرنا إلى السورة كاملة وربط أولها بآخرها، فقد قال في ختامها (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع) فالنبات يحتاج إلى الماء لذا فلا غرابة بتأويل السماء بالمطر، فالآية تُحمَلُ تارة على الحقيقة، وتارة على المجاز، والمجاز هنا مرسل علاقته السببية، إذ أطلق السبب وهو السماء و أراد المسبب وهو المطر. ونلحظ أن هناك مناسبةً بين مطلع السورة وخاتمتها {والسماء والطارق. وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب} ثم قال في نهاية السورة: {والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع. إنه لقول فصل} والمناسبة بين القسمين ــ والله أعلم ــ أن الأول فيه إشارة إلى الطارق الذي هو النجم، والنجم تُرمى به الشياطين الذين يسترقون السمع، وفي رمي الشياطين بذلك حفظ لكتاب الله عز وجل، أما هنا فأقسم بالسماء ذات الرجع أن هذا القرآن قول فصل، فصار القسم الأول مناسبته أن فيه الإشارة إلى ما يحفظ به هذا القرآن حال إنزاله، وفي القسم الثاني الإشارة إلى أن القرآن حياة، يعني يقال: {والسماء ذات الرجع} الرجع هو المطر، يسمى رجعاً لأنه يرجع ويتكرر، ومعلوم أن المطر به حياة الأرض. {والأرض ذات الصدع} الصدع هو الانشقاق يعني التشقق بخروج النبات منه، فأقسم بالمطر الذي هو سبب خروج النبات، وبالتشقق الذي يخرج منه النبات، وكله إشارة إلى حياة الأرض بعد موتها، والقرآن به حياة القلوب بعد موتها[2]. يورد ابن منظور للطارق معان عدة؛ فالطرق "الضرب بالحصى، وهو ضرب من التكهن. والخط في التراب: الكَهانَةُ والطُّرَّاقُ المُتكَهِّنون والطوارق المتكهنات. . . والطّرْق: الماء المجتمع الذي خِيضَ فيه وبِيل وبُعِرَ فكَدِر. . . وأَطْرَقه

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد الغرناطي (ت ٧٤١هـ) تح، د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م ٤٧١/٢.

(٢) ينظر: تفسير جزء عم، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢٣ه)إعداد وتخريج فهد بن ناصر السليمان دار الثريا للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣ ه –٢٠٠٢م، ١٥١.

فحلاً: أعطاه إياه يضرب في إبله. . . وكل آتٍ بالليل طارقٌ، وقيل: أصل الطُّروق من الطَّرْق وهو الدق، وسمي الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى دق الباب. وَطَرَقَ القومَ يَطْرُقُهم طَرْقاً وطُروقا: جاءهم ليلاً، فهو طارقٌ"[١]. فالأصل في الطرق الدق والضرب؛ والطارق أو القادم ليلاً يحتاج إلى الدق والضرب للتنبيه؛ قال الراغب: "والطرق في الأصل كالضرب إلا أنه أخص ؛ لأنه ضرب توقع كطرق الحديد بالمطرقة"[٢]. ثم تطورت دلالة المفردة وتوسعت العرب فيها توسعهم في الضرب[٣]. فصار "الطارق السالك للطريق، لكن خصّ في المتعارف بالآتي ليلاً: فقيل طرق أهله"[٤].

قالت هند بنت عتبة (الرجز):

نَحْنُ بَنَاتُ طارق نَمْشي عَلى النَّمارِق

والمعنى أنّ أبانا كالنجم في شرفه وعلوّه[٥]. فالتعبير عن النجم بالطارق هو من باب التوسع والتطور الدلالي؛ كما اكتست هذه المفردة دلالة مجازية؛ قال الزمخشري: "ومن المجاز: طرق فلانٌ طروقاً. ورجلٌ طرَقَةٌ"[٦]. أمثال هُمزة وذلك إذا كان يسري

---

(١) لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ) دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م ٢١٥/١٠ مادة(طرق).

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تح، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م، ٥١٨.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٥١٨ مادة (طرق).

(٤) المصدر نفسه: ٥١٨ مادة (طرق).

(٥) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٧٨/١٠

(٦) أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تح، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨ م، ٦٠٣ مادة (طرق).

حتى يطرق أهله ليلاً[١]. ومن المجاز أيضاً "طرقه همٌ. وطرقني الخيال، وطرقه الزمان بنوائبه. وأصابته طارقةٌ من الطوارق، ونعوذُ بالله من طوارق السّوء. وطرق سمعي كذا. وطُرِقَت مسامعي بخير"[٢]. إنّ المفردة القرآنية الجامعة (الطارق) في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ الطارق قد اكتسبت الدلالة المجازية فـ "الطارق هنا كناية عن النجم، فحقيقة الطارق هو الإنسان الذي يطرق ليلاً فلما كان النجم لا يظهر إلا في الليل حَسُنَ أن يسمى طارقاً"[٣]. وقد نبه القدامى على الاكتناز الدلالي في هذه المفردة القرآنية: (الطارق)؛ فنلحظ أنَّ ابن خالويه يضيق دائرة المعنى؛ إذ الطارق عنده "كل من أتاك ليلاً فقد طرقك، ولا يكون الطروق إلا بالليل"[٤]، في حين نرى آخرين قد وَسَعوا دائرة المعنى؛ فالطارق –حسب ما يراه الفخر الرازي– "كل ما أتاك ليلاً سواء كان كوكباً أو غيره فلا يكون الطارق نهاراً"[٥]. وإلى نحو هذا ذهب أبو حيان الأندلسي: ""فكل ما جاء بليل يسمى طارقاً"[٦]. فالطارق إذن هو كل مَن –أو ما– أتى بليل، قد يكون بشراً، أو نجماً، أو مخلوقاً أو حدثاً من الأحداث. وقد استثمر المفسرون القدامى قرائن نصية لتأويل الطارق على نحو متسع؛ ومِن هذه القرائن أنّ الألف واللام المحلى بها الطارق إنما هي للجنس؛ قال الزمخشري: "ووصف بالطارق لأنه يبدو بالليل. . . والمراد

(١) يُنظر: لسان العرب: ١٠ / ٢١٦مادة (طرق).

(٢) أساس البلاغة: ٦٠٣ مادة (طرق).

(٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، دار الأضواء – بيروت، ٣٦٣.

(٤) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠ه)، المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان، ٣٨.

(٥) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م الطبعة الأولى ١١٥/٣١.

(٦) تفسير البحر المحيط، أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي(ت ٧٤٥هـ) تح، عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، د. زكريا عبد المجيد النوقي، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م الطبعة الأولى ٤٥٣/٨.

جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرجم بها"[١]. وقال ابن عطية فيما نقله أبو حيان الأندلسي: "معنى الآية والسماء وجميع ما يطرق فيه من الأمور والمخلوقات ثم ذكر بعد ذلك –على جهة التنبيه– أجل الطارقات قدراً وهو النجم الثاقب. . . فعلى هذا يكون النجم الثاقب بعضاً مما دل عليه والطارق إذ هو اسم يراد به جميع الطوارق"[٢]. وقد يراد به طروق الرسول ﷺ السماء بعروجه إليها –الله أعلم –

إن هذا القسم القرآني: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ يتوفر على مناسبة بين جزئي القسم؛ فعلاقة الطارق بالسماء هي علاقة الحال بالمحل؛ وثمة مناسبة أخرى بين المقسم به والمقسم عليه؛ فكما أن الطارق –النجم الثاقب– يطرق سكون الليل ويشق ستره وظلامه فإن هناك حافظاً يخترق الحجب وينفذ إلى مكنونات النفس الإنسانية[٣]. والمقصود أنه سبحانه أقسم بالسماء ونجومها المضيئة وكل منها آية من آياته الدالة على وحدانيته وسمى النجم طارقاً؛ لأنه يظهر بالليل بعد اختفائه بضوء الشمس فشبه بالطارق الذي يطرق الناس أو أهله ليلاً[٤].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾

" لما أقسم بالسماء لما لها من الشرف والمجد تنبيهاً على ما فيها من بدائع الصنع الدالة على القدرة الباهرة. أقسم بأعجب ما فيها وهو جنس النجوم ثم بأغربه وهو المعد للحراسة تنبيهاً على ما في ذلك من غرائب القدرة فقال: (والطارق) أي جنس الكواكب الذي يبدو ليلاً ويخفى نهاراً، ويطرق مسترقي السمع فيبدد شملهم ويهلك من أراد الله منهم لأجل هداية الناس بالقرآن في الطرق المعنوية وظهوره وإشراقه في السماء

---

(١) الكشاف: ٢٤١/٤.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٤٥٤/٨.

(٣) يُنظر: في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ): دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢ هـ– ١٩٩٢م ٣٨٧٨/٦.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، أبو بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تح، محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٠٠.

لهدايتهم في الطرق الحسية"[١]. ولما كان الطارق يطلق على غير النجم أبهمه أوّلاً، ثم عظم القسم به والاستفهام للتفخيم والتعظيم ورفعة الشأن. كأن هذا النجم البعيد في آفاق السموات لا يمكن لبشر إدراكه ومعرفة حقيقته. يقول الدكتور المطعني: "هذا الاستفهام متى وكيف وقع المراد منه إما تهويل المستفهَم عنه، وإما تفخيمه. فالتهويل في الشدائد والمحن، والتفخيم في المواهب والنعم "[٢]. فإنه مجمل ويحتمل أن يكون الاستفهام لتعظيم أمره فإن فيه منافع كثيرة من طرد الشياطين وزينة السماء وتخويف العباد وغير ذلك وجملة ما الطارق في محل المفعول الثاني لأدراك ثم فسر المجمل بقوله النجم الثاقب[٣]. قال سفيان بن عيينة: كل شيء في القرآن: ما أَدْراكَ فقد أخبر اللَّه الرسول به، وكل شيء فيه ما يُدْرِيكَ لم يخبره به، كقوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الشورى[٤]. وتركيب (وما أدراك) جارية مجرى المثل، (مَا أدراك كذا) مما جرى مجرى المثل فلا يغير عن هذا اللفظ وهو تركيب مركب من (ما)الاستفهامية وفعل (أدرى) الذي يتعدى بهمزة التعدية إلى ثلاثة مفاعيل من باب أعلمَ وأرى، فصار فاعل فعله المجرد وهو (دَرى) مفعولاً أول بسبب التعدية. وقد علق فعل (أدراك) عن نصب مفعولين ب (ما) الاستفهامية الثانية. والكاف منها خطاب لغير معيّن بمعنى: قد تدري، أي قد يدري الداري، فـ (ما)استفهامية والاستفهام مستعمل في التنبيه والتهيئة على طريقة المجاز المرسل في الحرف، لأن الأمر العظيم من شأنه أن يستفهم عنه فصار التعظيم والاستفهام متلازمين. ولك أن تجعل الاستفهام إنكارياً، أي لا يدري أحد كنه هذا الأمر. والمقصود من ذلك على كلا الاعتبارين هو التهويل[٥].

---

(١) نظم الدرر ٣٨٦/٨

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة– القاهرة – مصر، الطبعة الثامنة ١٤٢٢ه –٢٠٠١، ٣٥٥/٤.

(٣) ينظر: التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، تح، غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان الطبعة: ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م، ٢٤٠/١٠

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب ــ ١١٥/٣١

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ١١٣/٢٩.

و "(أدراك) من الدراية بمعنى العلم "[١].

فَقَدْ جَاءَتْ: «وَمَا أَدْرَاكَ» ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، كُلُّهَا أَخْبَرَهُ بِهَا إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ فِي الْحَاقَّةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ الحاقة، وَمَا عَدَاهَا، فَقَدْ أَخْبَرَهُ بِهَا، وَهِيَ: وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ وَفِي «الْمُرْسَلَاتِ»: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ ﴾ وَفِي «الِانْفِطَارِ»: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾

وَفِي «الْمُطَفِّفِينَ»: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩ ﴾

وَفِي «الْبَلَدِ»: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ ﴾

وَفِي «الْقَدْرِ»: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ ﴾

وَفِي «الْقَارِعَةِ»: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ ﴾.

وَأَيْضًا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١ ﴾، وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾، فَكُلُّهَا أَخْبَرَهُ عَنْهَا إِلَّا فِي «الْحَاقَّةِ».

يُلَاحَظُ أَنَّهَا كُلُّهَا فِي قِصَارِ السُّوَرِ مِنَ «الْحَاقَّةِ» وَمَا بَعْدَهَا، أَمَّا «مَا يُدْرِيكَ»، فَقَدْ جَاءَتْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَطْ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبٗا ۝٦٣ ﴾ الأحزاب: ٦٣،: وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۝١٧ ﴾ الشورى، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ ﴾ عبس، فَلَمْ يُخْبِرْهُ فِيهَا صَرَاحَةً، إِلَّا أَنَّهُ فِي الثَّالِثَةِ قَدْ يَكُونُ أَخْبَرَهُ ; لِأَنَّهُ قَالَ: لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، فَهُوَ وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ: هَلْ هُوَ تَزَكَّى أَمْ لَا؟ إِلَّا أَنَّ لَعَلَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلتَّحْقِيقِ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ[٢]. ما الحكمة من استخدام صيغة الفعل الماضي في قوله (وما

---

(١) المصدر نفسه ٦٨/٢٥

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ٤٩١/٨.

أدراك) وقد استخدم في القرآن صيغة الفعل المضارع كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ عبس وقوله ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الشورى في القرآن كلّه أسلوب محدد إذا استعمل (يدريك) بصيغة المضارع لا يفصّل بعدها ولا يجيب عن السؤال ويبقيه مبهماً (وما يدريك لعلّه يزّكى) لم يأتِ بعدها تفصيل أو إجابة وإنما بقي مبهماً، وإذا استعمل (أدراك) بصيغة الماضي يتبعها بالتفصيل كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ ﴾ الطارق وقوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾ البلد، نلاحظ التفصيل بالجواب بعد أدراك[1]. ما أدراك (محقق الوقوع لأن الاستفهام فيه للتهويل وأن مفعول (ما يدريك) غير محقق الوقوع لأن الاستفهام فيه للإنكار وهو في معنى نفي الدراية. [2]

﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ ﴾

اختلف المتأولون في(النَّجْمُ الثَّاقِبُ)، "فقال الحسن بن أبي الحسن ما معناه: إنه اسم للجنس، لأنها كلها ثاقبة، أي ظاهرة الضوء، يقال ثقب النجم إذا أضاء، وثقبت النار، كذلك، وثقبت الرائحة إذا سطعت، ويقال للموقد اثقب نارك، أي أضئها، وقال ابن زيد: أراد نجما مخصوصا: وهو زحل، ووصفه بالثقوب، لأنه مبرز على الكواكب في ذلك، وقال ابن عباس: أراد الجدي، وقال بعض هؤلاء يقال: ثقب النجم، إذا ارتفع فإنما وصف زحلا بالثقوب لأنه أرفع الكواكب مكاناً. وقال ابن زيد وغيره: النَّجْمُ الثَّاقِبُ: الثريا، وهو الذي يطلق عليه اسم النجم معرفاً". [3] ويبين لنا الراغب معنى الثاقب فيقول: " الثاقب المعنى الذي يثقب بنوره وإصابته ما يقع عليه قال الله تعالى:

(١) ينظر: لمسات بيانية، فاضل بن صالح السامرائي، دار عمار، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٤٢٣ه -٢٠٠٣م ٣٩٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١١٤/٢٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤٦٤/٥

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الصافات وقال تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ ﴾ وأصله من الثقبة. "[١] هو النجم "الذي يثقب الظلام بشعاعه النافذ وهذا الوصف ينطبق على جنس النجم، ولا سبيل إلى تحديد نجم بذاته من هذا النص، ولا ضرورة لهذا التحديد، بل إن الإطلاق أولى. ليكون المعنى: والسماء ونجومها الثاقبة للظلام. . . . ويكون لهذه الإشارة إيماؤها حول حقائق السورة ومشاهدها الأخرى". [٢] والنجم هنا يحتمل أن يكون المراد به جميع النجوم فتكون (ال) للجنس، ويحتمل أنه النجم الثاقب، أي: النجم اللامع، قوي اللمعان، لأنه يثقب الظلام بنوره، وأيًّا كان فإن هذه النجوم من آيات الله عز وجل الدالة على كمال قدرته، في سيرها وانتظامها، واختلاف أشكالها واختلاف منافعها أيضاً، قال الزمخشري: " فإن قلت: ما يشبه قوله وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ: النَّجْمُ الثَّاقِبُ إلا ترجمة كلمة بأخرى، فبين لي أي فائدة تحته؟

فإن قلت: أراد الله عز من قائل: أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له، لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة، وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره، وهو الطارق، ثم قال: وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ؟ ثم فسره بقوله النَّجْمُ الثَّاقِبُ كل هذا إظهار لفخامة شأنه، كما قال ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ الواقعة ". [٣] قال ابن عاشور: "والثقب: خرق شيء ملتئم، وهو هنا مستعار لظهور النور في خلال ظلمة الليل. شبه النجم بمسمار أو نحوه، وظهورُ ضوئه بظهور ما يبدو من المسمار من خلال الجسم الذي يثقبه مثل لَوح أو ثَوب. وأحسب أن استعارة الثقب لبروز شعاع النجم في ظلمة الليل من مبتكرات القرآن ولم يرد في كلام العرب قبل القرآن ". [٤] والمتمعن في آيات السورة يلحظ أنها كالنسيج

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ١٧٣

(٢) في ظلال القرآن: ٣٨٧٨/٦

(٣) الكشاف: ٧٣٤/٤

(٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٢٥٩.

مرتبط بعضه ببعض فالنجم الثاقب. وهو الذي يشق الحجب والستائر، وكأنه قريب الشبه بابتلاء السرائر ؛لأن السرائر مكنونة فعندما تبلى تتكشف السواتر، كما هذا النجم يثقب ليضيء الظلام ويجليه.

ويلحظ أن لفظ (الثاقب) لم يستعمل في القرآن الكريم إلا في موضعين فقط أحدهما في سورة الصافات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ والثاني هنا قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ ﴾ ونستطيع أن نربط هذا الآية بنهاية السورة ولاسيما أن هذا الاستعمال جاء في حفظ القرآن من استراق الجن للسمع، وفي نهاية السورة قال: (إنه لقول فصل) وهو القرآن.

﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾

هذه الآية هي جواب القسم وقد تقدمها توكيدان بالقسم فجاء المقسم عليه مؤكداً مرتين مرة بالقصر وثانية بهذا التقديم، فالتقديم أفاد تقوية المعنى وهو كما "قال ابن سيرين وقتادة وغيرهما إنَّ كل نفس مكلفة عليها حافظ يحصي أعمالها ويعدها للجزاء عليها فيكون في الآية وعيد زاجر وما بعد ذلك [يعني من الآيات] يدل عليه". (١) وقد خصّ النفس هنا لأنها مستودع الأسرار والأفكار، وهي التي يناط بها العمل والجزاء. . فتقديم شبه الجملة ينسجم مع سياق الوعيد. وفي جواب القسم وما بينهما اعتراض جيء به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها. (٢) "ولما ذكر الذي دل به على حفظ القرآن عن التلبيس وعلى حفظ الإنسان، ذكر جوابه في حفظ النفوس التي جعل فيها قابلية لحفظ القرآن في الصدور، ودل على حفظ ما خلق لأجلها من هذه الأشياء المقسم بها على حفظ الإنسان؛ لأنها إذا كانت محفوظة عن أدنى زيغ وهي مخلوقة لتدبير مصالحه فما الظن به ؟ فقال مؤكداً غاية التأكيد لما للكفرة من

(١) البحر المحيط: ٤٥٥/٨.

(٢) ينظر: روح البيان، أبو الفداء إسماعيل حقي الإستانبولي (ت ١١٢٧هـ) دار الفكر – بيروت ٣٩٧/١٠.

إنكار ذلك والطعن فيه ". [١] وفي الآية كناية عن البعث بطريق التدليل أطلق عليها ابن عاشور كناية تلويحية رمزية، فإن إقامة الحافظ تستلزم شيئاً يحفظه وهو الأعمال خيرُها وشرُّها، وذلك يستلزم إرادة المحاسبة عليها والجزاء بما تقتضيه جزاء مُؤخراً بعد الحياة الدنيا لئلا تذهب أعمال العاملين سدى وذلك يستلزم أن الجزاء مؤخر إلى ما بعد هذه الحياة، إذ المُشَاهَدُ تخلُّف الجزاء في هذه الحياة بكثرة، فلو أهمل الجزاء لكان إهماله منافياً لحكمة الإله الحكيم مبدع هذا الكون كما قال: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المؤمنون وهذا الجزاء المؤخر يستلزم إعادة حياة للذوات الصادرة منها الأعمال. [٢] فهذه لوازم أربعة بها كانت الكناية تلويحية رمزية. وقد حصل مع هذا الاستدلال إفادةُ أن على الأنفس حفظةً فهو إدماج.

قرأ عاصم وحمزة، وابن عامر، إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها بتشديد الميم، والباقون لَمَّا عَلَيْها بالتخفيف، فمن قرأ بالتشديد، فمعناه ما من نفس إلا وعليها حافظ، فيكون لما بمعنى إلا، ومن قرأ بالتخفيف جعل ما مؤكدة، ومعناه كل نفس عليها حافظ. [٣] " فالحجة لمن شدد أنه جعل إن بِمَعْنى مَا الجاحدة وَجعل لما بِمَعْنى إلا للتحقيق وَالتَّقْدِير مَا كل نفس الا عَلَيْهَا حَافظ من الله تَعَالَى وَالْحجّة لمن خفف انه جعل إن خَفِيفَة من الثَّقِيلَة وَجعل مَا صلَة مُؤَكدَة وَالتَّقْدِير إن كل نفس لعليها حَافظ؛ولإنْ الْمَكْسُورَة الْخَفِيفَة أقسام تكون خَفِيفَة من الشَّدِيدَة وَبِمَعْنى مَا وحرف شَرط وزائدة وَبِمَعْنى إذ وَبِمَعْنى قد وَبِمَعْنى لم ولإن المخففة الْمَفْتُوحَة أقسام أيضاً تكون خَفِيفَة من الشَّدِيدَة وحرفاً ناصباً للْفِعْل الْمُضَارع وَتَكون زَائِدَة وَتَكون بِمَعْنى أَي ". [٤]

---

(١) نظم الدرر ٣٨٦/٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٨٦/٣٠.

(٣) ينظر: بحر العلوم ــ أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي تح، د. محمود مطرجي دار الفكر– بيروت، ٥٤٦/٣.

(٤) الحجة في القراءات السبع، أبو عبد الله الحسين بن خالويه، (ت ٣٧٠هـ) تح، د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١ هـ–١٩٨١م، ٣٦٨.

والحافظ على الحقيقة هو اللَّه عزّ وجلّ، وحفظ الملائكة: من حفظه لأنه بأمره.

ولم تبين الآية من هو الحافظ، فقال بعض المفسرين: إن ذلك الحافظ هو اللَّه تعالى، وقال آخرون: إن ذلك الحافظ هم الملائكة، كما قال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴿٦١﴾﴾ الأنعام، وقَالَ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ الانفطار، وقَالَ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ق، وقال: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴿١١﴾﴾ الرعد.

المحور الثاني: من الآية الخامسة إلى الآية العاشرة بيان مبدأ خلق الإنسان ومعاده بالبرهان الساطع والدليل القاطع.

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾

فلينظر نظر التفكُّر والاستدلال ليعرف من أي شيء خلقه ربّه؟ ومقصود الآية إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أنه يعيده، ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها، أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها. (١) الفاء للسببية فإن وجود الحفظة سبب لوجوب المراقبة على أعماله حتى يستدل به على صحة إعادة فيستوجب الإيمان بالله ورسوله والإتيان بما أمر به من الأعمال والانتهاء عما نهى عنه، ومن ابتدائية وما استفهامية والجار والمجرور متعلق بخلق نائب مناب فاعله والجملة في محل النصب بالمفعولية من النظر أي في جواب هذا السؤال الحاصل بالنظر. (٢) فقدّم المتعلِّق على عامله تبعاً لتقديم ما اتصلت به من (من) اسم الاستفهام و (ما) استفهامية علّقت فعل النَّظر العقلي عن العمل. والاستفهام مستعمل في الإيقاظ والتنبيه إلى ما يجب علمه كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ عبس فالاستفهام هنا

(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٤٧١/٢.

(٢) ينظر: التفسير المظهري ٢٤١/١٠

مجاز مرسل مركب. وحذف ألف (ما) الاستفهامية على طريقة وقوعها مجرورة. [١] وبني للمفعول العامل في من أمر بالنظر وهو قوله: (خلق) إعلاماً بأن الدال هو مطلق الخلق، وتنبيهاً على تعظيم الفاعل بأن العلم به غير محتاج إلى ذكره باللفظ ؛لأنه لا يقدر على صنعة من صنائعه غيره. [٢]

ولا سيما أنه معلوم من السياق واضح في الأذهان.

﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾، " فهو استئناف بياني، كأنه قيل: مِمَّ خُلق ؟ فقال: خُلق من ماء دافق ". [٣] والدفق: صبّ فيه دفعٌ. وقال الخليل وسيبويه هو على النسب أي ذي دفق، والدفق دفق الماء بعضه إلى بعض تدفق الوادي والسيل إذا جاء يركب بعضه بعضاً ويصح أن يكون الماء دافقاً؛ لأن بعضه يدفع بعضاً فمنه " دافق " ومنه مدفوق.[٤]

قال الفراء: وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم، كقولهم: سر كاتم، وهمّ ناصب، وليل نائم. [٥]

ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدىء في خلقه أو أن الإسناد مجازي. والدفق في الحقيقة لصاحبه، إي صاحب الماء لما كان دافقاً أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز. [٦] وقال الشريف "وعندي في ذلك وجه آخر، وهو أن هذا الماء لما كان في العاقبة يؤول إلى أن يخرج منه الإنسان المتصرف، والقادر

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦١/٣٠

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٣٨٥/٨

(٣) البحر المديد، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي (ت ١٢٢٤هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م، ٤٣٢/٨.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز٥/ ٤٣٧

(٥) ينظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تح، أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة الأولى ٢٥٥/٣.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب١١٧/٣١

المميز، جاز أن يقوى أمره فيوصف بصفة الفاعل لا صفة المفعول، تمييزاً له من غيره من المياه المهراقة، والمائعات المدفوقة. وهذا واضح لمن تأمّله". (١) ومعنى (دافق) خرج بقوة وسرعة، والأشهر أنه يقال على نطفة الرجل، ,أراد ماءين: ماء الرجل وماء المرأة، لأن الإنسان مخلوق منهما، لكنه جعله ماءً واحداً لامتزاجهما، وقال ابن عباس: دافق) لزج. (٢) ولعل في السياق نكتة بلاغية، إذ يحل لفظ محل لفظ آخر لدلالة بلاغية وحاجة السياق بعناصره المتنوعة، إحلال صيغة فاعل محل مفعول مثل ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾ أي مدفوق كما ذكر البلاغيون، ولكن صيغة فاعل تُوافق الفواصل المنتهية بحرف مسبوق بألف المد، ولا توافقها كلمة مدفوق لأن حرف المد فيها الواو وهو لا يتجانس مع الألف بل مع الياء، وهنا نكتة بلاغية في استعمال لفظ فاعل وهي أن ذلك الماء لا يخرج إلا دفقاً أي سريعاً، ولذا يناسبه لفظ فاعل لا مفعول، وعكس ذلك إحلال مفعول محل فاعل في ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ ﴾ مريم. أي آتياً كما ذكروا، ولكنه بذلك يحقق الإيقاع في الفواصل المنتهية بحرف مد مسبوق بياء مشددة، وفيه نكتة أخرى وهي جعل الوعد نفسه عَلَماً منصوباً يتوافد إليه الناس، وذلك أبلغ في الدلالة، وكل ذلك في بلاغة عالية وأسلوب بديع يمتع العقل والروح معاً لمن يتدبر ويتذوق. (٣)

" وأطنب في وصف هذا الماء الدافق إدماجاً للتعليم والعبرة بدقائق التكوين ليتيقظ الجاهل الكافر ويزداد المؤمن علماً ويقيناً". (٤)

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾

قال قتادة والحسن وغيره معناه من بين الصلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه وقال سفيان وقتادة أيضا وجماعة من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وفي الآية طباق، فقد طابق بين عظم الظهر وعظم الصدر وأفرد الأول وجمع الآخر لأن

(١) تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٣٦٣

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٠

(٣) ينظر: الفواصل القرآنية دراسة بلاغية، د. سيد خضر: ٥، (د. ط)، (د. ت).

(٤) التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٦٢

صدر المرأة هو تريبتها فيقال للمرأة ترائب يعني بها التريبة وما حواليها وما أحاط بها وكذلك تقول العرب: رأيت خلاخيل المرأة وثديها وإنما لها ثديان وخلخالان أو يقال أنه تعالى أراد: يخرج من بين الأصلاب والترائب، فاكتفى بالواحد عن الجماعة. [١] "قرأ الجمهور(الصُّلْب) وقرأ أهل مكة وعيسى (الصّلُب) بضم اللام على الجميع". [٢] وفي «الترائب» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه موضع القلادة، قاله ابن عباس. قال الزجاج: قال أهل اللغة أجمعون: التّرائب: موضع القلادة من الصّدر. [٣] وأنشدوا لامرئ القيس:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ[٤]

والثاني: أن الترائب: اليدان والرجلان والعينان، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر. [٥] والصواب عند أبي جعفر أنها مواضع القلادة من صدر المرأة، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وبه جاءت أشعارهم، وتأويلها في المسألة بموضع القلادة من المرأة، هو ما يقبله الشاهد وسائر شواهدهم لها، وليس العينين أو اليدين

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد درويش (ت ١٤٠٣هـ): دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ –١٩٩٥م، ٤٤٤/١٠.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، ابن خالويه، عنى بنشره ج برجشترار، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٤م ١٧١، وينظر: المحرر الوجيز ٤٣٧/٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ٣١٢/٥.

(٤) ديوان امرئ القيس، تح، حنا فاخور، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤٠٩ه–١٩٨٩م، ٣٧.

(٥) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ه –١٩٨٤، ٤٢٨/٤.

والرجلين[١]، والله أعلم، والضمير في " يخرج " يحتمل أن يكون للإنسان ويحتمل أن يكون للماء. فمن جعل المني يخرج من بين صلب الرجل وترائبه، فالضمير في {يخرج} للماء. ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة، فالضمير للإنسان. [٢]

ثم إنّا نعلم أن النطفة من أجزاء البدن جميعها, ولذلك يشبه الرجل والديه كثيراً, وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني , وأيضاً فالمكثر من الجماع يجد وجعاً في صلبه وظهره, وليس ذلك إلا لخلو صلبه عما كان محتبساً من الماء. [٣] فعلى تفسير ابن عادل أن الآية تحمل على المجاز المرسل إذ أطلق الجزء وأراد الكل فالعلاقة فيه علاقة جزئية.

﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ ﴾

فقد أراد تعالى توكيد حقيقة مهمة كثيراً ما أنكرها مشركو مكة وهي حقيقة البعث والرجوع إلى الله تعالى. ولذلك قدم الله تعالى شبه الجملة من الجار والمجرور: (على رجعه) على متعلقه (لقادر)لأنه محل إنكار من المشركين. كما أفاد هذا التقديم الاختصاص أي اختصاص القدرة به تعالى في ذلك اليوم وفي غيره. فضلاً عن التوكيد الحاصل بـ (إنّ) و (اللام) وتنكير الخبر ليدل على رد بليغ على مَن يدّعي أنه لا حشر ولا بعث، حتى كأنه لا تتعلق القدرة بشيء إلاّ بإعادة الأرواح إلى الأجساد. [٤]

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ ﴾" على الإطلاق أوّلاً وآخِراً وفي كل وقت". [٥] والضمير في (إنه) للخالق مع أنه لم يتقدم ذكره والسبب فيه وجهان الأول دلالة خلق عليه والمعنى أن ذلك الذي خلق قادر على رجعه الثاني أنه وإن لم يتقدم ذكره لفظاً

(١) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ٥٢٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٠.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل (ت ٧٧٥هـ) تح، عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ٢٠ /٢٦٥.

(٤) ينظر: أضواء البيان ٤٩٣/٨.

(٥) البحر المحيط: ٣٨٩/٨.

ولكن تقدم ذكر ما يدل عليه سبحانه وقد تقرر في بداءة العقول أن القادر على هذه التصرفات هو الله سبحانه وتعالى فلما كان ذلك في غاية الظهور كان كالمذكور. (١) والضمير في (رَجْعِهِ)، قيل: راجع للماء الدافق، أَي: إنَّهُ سبحانه قادر على رجع هذا الماء من حيث خرج، كرد اللَّبَنِ إلى الضَّرعِ مثلًا، ورَدِّ الطفلِ إلى الرحمِ، وهذا مروي عن عكرمة ومجاهد. وقيل: على رجع الإنسان بعد الموت، وهذا وإن كان في الأول دلالة على القدرة، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، إِلَّا أَنَّ فِي السِّيَاقِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ الثَّانِي ; لِعِدَّةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ رَدَ الْمَاءِ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ حُكْمٌ وَلَا أَمْرٌ آخَرُ سِوَى إِثْبَاتِ الْقُدْرَةِ، بِخِلَافِ رَجْعِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهُوَ قَضِيَّةُ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ. وَيَتَعَلَّقُ بِهِ كُلُّ أَحْكَامِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الثَّانِي: مَجِيءُ الْقُرْآنِ بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ دَلِيلٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي «يس»:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾، أَيْ: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ الطارق

الثَّالِثُ: أَنِ الْأَوَّلَ يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى تَقْدِيرِ عَامِلٍ لِـ «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»، نَحْوُ اذْكُرْ مَثَلًا، بِخِلَافِ الثَّانِي، فَإِنَّ الْعَامِلَ فِيهِ: هُوَ «لَقَادِرٌ»، أَيْ: لَقَادِرٌ عَلَى رَجْعِهِ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. (٢)

﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾

خصص من الأوقات الوقت الأهم على الكفار؛لأنه وقت الجزاء والوصول إلى العذاب ليجتمع الناس إلى حذره والخوف منه. (٣) ولما كان هذا يحرك السامع غاية التحريك لأن يقول: متى تكون رجعه له ؟ قال مجيباً له: (يوم تبلى) وبناه للمفعول إشارة مع التنبيه على السهولة إلى أن من الأمر البين غاية البيان أن الذي يبلوها هو

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١١٩/٣١.

(٢) ينظر: أضواء البيان ٤٩٣/٨.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٤٥٠/٨.

الذي يرجعها، وهو الله سبحانه وتعالى من غير احتياج إلى ذكره ". [١] والإبلاء هو الابتلاء والاختبار وإطلاق الإبلاء على الكشف والتمييز من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب ؛لأن الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله عباده بالأمر والنهي يكون لكشف ما علم منهم في الأزل. [٢] وفي الآية مجاز عقلي علاقته الحالية إذ أطلق الحال وهي السرائر وأراد المحل وهي القلوب ؛ لأنها موطن الأسرار. وإلى جانب المجاز نلحظ الكناية الحاصلة في الآية جميعها(يوم تبلى السرائر) وهي كناية عن موصوف وهو يوم القيامة، فالسرائر هي "كل ما انطوت عليه الصدور من العقائد والنيات، وأخفته الجوارح من الإخلال بالوضوء والغسل ونحو ذلك من جميع الجنايات، بأن تخالط السرائر في ذلك اليوم، وهو يوم القيامة، من الأمور الهائلة ما يميلها فيحيلها عما هي عليه فتعود جهراً بعد أن كانت سراً، فيميز طيبها من خبيثها ويجازى عليه صاحبه ". [٣]

ونلحظ الترابط بين آيات السورة وكأنه نسيج واحد فالسرائر المكنونة، المطوية على الأسرار المحجوبة. . يوم تبلى وتختبر، وتتكشف وتظهر كما ينفذ الطارق من خلال الظلام الساتر وكما ينفذ الحافظ إلى النفس الملفقة بالسواتر.

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾

" لما كان المانع من جزائه عند إظهار سرائره إما هو نفسه أو أحد ينصره، قال مسبباً عن إظهار ما يجتهد في إخفائه: (فما له) أي الإنسان الذي أخرجت سرائره، وأغرق في التعميم النفي فقال: (من قوة) أي يمنع بها نفسه من الجزاء (ولا ناصر) أي ينصره فيمنعه من نفوذ الحكم فيه. وليس الدفع إلا بهذين الأمرين: قوة قائمة به أو قوة خارجة عنه". [٤] وعندما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان، أو بنصرة غيره له، أخبره الله تعالى أنه يعدمها يوم القيامة، فلا قوة له في نفسه، ولا أحد ينصره

(١) نظم الدرر ٣٨٩/٨.
(٢) ينظر: روح البيان ١٠/ ٣٩٩.
(٣) نظم الدرر ٣٩٠/٨.
(٤) نظم الدرر ٣٩٠/٨.

من الله. [١] وقد بدأ بذكر أقرب ما يدفع به الإنسان عن نفسه ويبدأ به أولاً وهي قوته فإن لم تكن عنده قوة لجأ إلى الناصر والمعين، ولهذا بدأ بقوله (قوة) متقدماً به على قوله (ناصر). [٢] فالضمير عائد إلى الإنسان، والمقصود، المشركون من الناس لأنهم المسوق لأجلهم هذا التهديد، أي فما للإنسان المشرك من قوة يدفع بها عن نفسه وما له من ناصر يدافع عنه. [٣] فالآية هنا محمولة على المجاز من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء. والخلاصة: إنّ القوة التي بها يدافع الإنسان عن نفسه، إمّا من ذاته، وقد نفاها بقوله تعالى: فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ، وإمّا من غيره وقد نفاها بقوله: وَلا ناصِرٍ. وبذلك يحشر الإنسان منفرداً، مكشوف السرائر، متجرّداً من القوة والنصير.

المحور الثالث: من الآية الحادية عشرة إلى الآية السابعة عشرة الحديث عن القرآن العظيم، معجزة النبي ﷺ الخالدة إلى الناس أجمعين وصدق ما جاء به، ووعيد الكفار المجرمين بالعذاب.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ ﴾

فأقسم بالسماء ورجعها بالمطر والأرض وصدعها بالنبات قال الفراء تبتدئ بالمطر ثم ترجع به في كل عام. [٤] وقال أبو إسحاق: الرجع المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر. [٥] "و(الصدع): الشق، وهو مصدر بمعنى المفعول، أي المصدوع عنه، وهو النبات الذي يخرج من شقوق الأرض". [٦]

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ٥١٩/٣.

(٢) ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم – دراسة تحليلية–، د. منير محمود المسيري، تقديم د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ود. علي جمعة، مكتبة وهبة – القاهرة، ١٤٣٠ ه – ٢٠٩٩م، ٦٩٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦٥/٣٠.

(٤) ينظر: معاني القرآن، الفراء٢٥٥/٣.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣١٢/٥.

(٦) التحرير والتنوير ٢٦٦/٣٠.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ عبس

والتحقيق أن هذا على وجه التمثيل ورجع السماء هو إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأزمان ترجعه رجعاً أي تعطيه مرة بعد مرة والخير كله من قبل السماء يجيء لما كان أظهر الخير المشهود بالعيان المطر فسر الرجع به وحسن تفسيره به ومقابلته بصدع الأرض عن النبات وفسر الصدع بالنبات، لأنه يصدع الأرض أي يشقها فأقسم سبحانه بالسماء ذات المطر والأرض ذات النبات وكل من ذلك آية من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته. (١) وفي اسم الرجع مناسبة لمعنى البعث في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ وفيه محسن الجناس التام وفي مسمى الرجع وهو المطر المعاقب لمطر آخر مناسبة لمعنى الرجع البعث فإن البعث حياة معاقبة بحياة سابقة. وعطف(الأرض) في القسم لأن بذكر الأرض إتمام المناسبة بين المقسم والمقسم عليه، ولأن في هذين الحالين إيماء إلى دليل آخر من دلائل إحياء الناس للبعث فكان في هذا القسم دليلان. والضمير الواقع اسماً لـ (إنّ) عائد إلى القرآن وهو معلوم من المقام. (٢) وإذا ربطنا بين القسم والمقسم عليه، نلحظ أن رجع الماء بعد فنائه بتلقيح السحاب من جديد يعادل رجع الإنسان بعد فنائه في الأرض، وتشقق الأرض عن النبات يناسب تشققها يوم البعث عن الخلائق. (٣)

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ ﴾

الآية وقعت جواب للقسم، وفي الآية أكثر من توكيد إذ ورد فيها التوكيد بإنَّ واللام والمصدر، وفي ذلك ردٌّ على المنكرين لصدق كتاب الله تعالى وما جاء به من وعد ووعيد. وفي الضمير(إنه) قولان:

---

(١) ينظر: التبيان في أقسام القران، ١٠٦.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٥٨/٣٠.

(٣) ينظر: أضواء البيان ٨/ ٤٩٦.

أحدهما: يجوز أن يعود على الكلام الذي أخبر فيه ببعث الإنسان يوم القيامة، وابتلاء سرائره: أي إن ذلك القول قول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه، ويكون الضمير قد عاد على مذكور ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ ﴾، وهو الكلام الذي تضمن الأخبار عن البعث، وليس من الأخبار التي فيها هزل بل هو جد كله. (١)

الثاني: أنه عائد إلى القرآن أي القرآن فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والأول أولى؛ لأن عود الضمير إلى المذكور السالف أولى. (٢) وسياق السورة يشهد له، لأن السورة كلها في معرض إثبات القدرة على البعث، وإعادة الإنسان بعد الفناء، حيث تضمنت ثلاثة أدلة من أدلة البعث.

الأول: السماء ذات الطارق. لعظم خلقتها، وعظم دلالتها على القدرة.

الثاني: خلق الإنسان أولاً من ماء دافق، كما في قوله ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ يس:

الثالث: مجموع قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ ﴾ أي إنزال المطر، وإنبات النبات وهو إحياء الأرض بعد موتها. فناسب أن يكون الإقسام على تحقق البعث. (٣) كما أقسم في أول السورة على حال الإنسان في مبدئه ومعاده والقول الفصل هو الذي يفصل بين الحق والباطل فميز هذا من هذا ويفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ومصيب الفصل الذي ينفصل عنده المراد ويتميز من غيره كما قال: أصاب الفصل وأصاب المرء إذا أصاب بكلامه نفس المعنى المراد ومنه فصل الخطاب وأيضا فالقول الفصل ببيان المعنى ضد الإجمال فكون القرآن فصلا يتضمن هذه المعاني كلها ويتضمن كونه حقاً ليس بالباطل وجداً ليس بالهزل ولما كان الهزل هو الذي لا حقيقة له – وهو الباطل واللعب – قابل بين الفصل والهزل. (٤)

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٨ /٤٥١.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ١٢١/٣١.

(٣) ينظر: تتمة أضواء البيان، عطية محمد سالم، الأنترنيت (ملتقى أهل الحديث) ١٣٣/٢

(٤) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ١٠٧

﴿ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾

لم ترد لفظة هزل في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، وهي تناسب السياق الذي وردت فيه، ولاسيما أن السورة تتحدث عن السموات والأرض والإنسان والنبات، فهذه الأمور كله خلقت لحكمة لا للعبث واللعب، وورد أكثر من معنى للفظ الهزل كما يذكره اللغويون إذ يقال: "الهَزْلُ: نقيض الْجد، هَزَلَ يَهزِلُ هَزْلا ". (١)
وهَزِلَ فِي اللّعب هَزَلا، الْأَخِيرَة عَن اللحياني. (٢) وهازَلَني، قَالَ:

ذُو الجِدِّ إنْ جَدَّ الرِّجالُ بهِ ومُهازِلٌ إنْ كانَ فِي هَزْلِ

وَرجل هَزِيل: كثير الهَزْل. وأهزَله: وجده لَعّاباً. وقَول هَزْلٌ: هذاء.
(ومَا هوَ بالهَزْلِ) قَالَ ثَعْلَب: أَي لَيْسَ بهذيان. (٣) ولما أكد قوله (إنَّه لقول فصل) أعقبه بتأكيد آخر وذلك لشدة إنكارهم وجحدهم وتغطيتهم الحق بالباطل فقال: (وما هو) الضمير يعود على القرآن فهو ليس بالضعيف المرذول الذي لا طائل تحته، فمن حقه ما هو عليه الآن من كونه مهيباً في القلوب معظماً في الصدور يرتفع به قارئه وسامعه عن أن يلم بهزل ويعلم به في أعين العامة والخاصة. ولما كان ثبات هذا على هذا الوجه مقتضياً ولا بد رجوعهم عن العناد، فكان ذلك محركاً للسامع إلى تعرف ما كان من أمرهم، استأنف قوله دلالة على بقائهم على الإنكار وأكده تنبيهاً على أن بقاءهم على العناد – مع هذا مستبعد جداً. (٤) ووجه هذا العطف ومناسبته، أنه أعقب به الثناء على القرآن رداً على المشركين إذ كانوا يزعمون أن النبي ﷺ جاء يهزل إذ يخبر بأن

(١) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨ه) تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٢٣٣/٤.
(٢) نوادر اللحياني، أبو الحسن علي بن حازم (ت نحو ٢٢٣ه) جمع وتحقيق ودراسة، عبد العزيز ياسين عبدالله، أطروحة دكتوراه، بإشراف د. محيي الدين توفيق إبراهيم، كلية الآداب – جامعة الموصل ١٤١٠ه –١٩٩٠م: ٧٥١.
(٣) مجالس ثعلب، أبو العباس، أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت ٢٩١هـ)، ١١٣.
(٤) ينظر: نظم الدرر٨/٣٩٠

الموتى سيحْيَوْن، يريدون تضليل عامتهم حين يسمعون قوارع القرآن وإرشاده وجزالة معانيه يختلقون لهم تلك المعاذير ليصرفوهم عن أن يتدبروا القرآن وهو ما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ فصلت فالهزل على هذا الوجه هو ضدّ الجدّ أي المزح واللعب، ومثل هذه الصفة إذا وردت في الكلام البليغ لا محمل لها إلا إرادة التعريض وإلا كانت تقصيراً في المدح ولا سيما إذا سبقتها محمدة من المحامد العظيمة. ويجوز أن يطلق الهزل على الهذيان. (١)

﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ ﴾

ذهب عدد من المفسرين إلى تفسير الكيد بالمكر وهو تفسير عام، ولكن إذا تتبعنا الآيات التي فيها لفظ المكر والآيات التي فيها لفظ الكيد، نلحظ أنَّ لفظ المكر وما يشتق منه ورد في القرآن الكريم ثلاثاً و أربعين مرة، في حين ورد لفظ الكيد وما يشتق منه خمساً وثلاثين مرة، والمتدبر للآيات يلحظ أن الكيد أشد من المكر، وذلك أن المكر يتعدى بحرف الجر يقال مكر به أما الكيد فيتعدى بنفسه والذي يتعدى بنفسه يكون أشد من غيره –والله أعلم–. ففي الآية التي نحن بصددها نلحظ الضمير في (أنهم) يعود إلى متأخر وليس إلى متقدم إذ إنه يعود إلى كفار قريش بدليل قوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧ ﴾، وكيدهم هو ما دبروه في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإضرار به وإبطال أمره وَأَكِيدُ كَيْداً هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب. (٢) فالآية محمولة على المشاكلة التي تعرف عند البلاغيين بـ (ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته). (٣)

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦٧/٣٠

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٤٧٢/٢

(٣) خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، (ت ٨٣٧هـ) تح، عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت، الطبعة الطبعة الأولى ١٤٢٤ه– ٢٠٠٤م ٢٥٢/٢.

والكيد في حق الله تعالى محمول على وجوه أحدها دفعه تعالى كيد الكفرة عن محمد عليه الصلاة والسلام ويقابل ذلك الكيد بنصرته وإعلاء دينه تسمية لأحد المتقابلين باسم كقوله تَعَالَىٰ:

﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الحشر وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء فنسبة هذا الفعل له تعالى من باب المقابلة.

وكقول عمرو بن كلثوم (الوافر)

ألا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنا فَنَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجاهِلينا[1]

سَمَّى تأديبَ الجاهل على جَهْلِه جَهْلاً من باب المشاكلة، مع أنّ التأديب والعقاب ليسا من الْجَهْل.

والمرادُ من الجهل هنا السّفَهُ والغضَبُ المنافي للحلْم وما ينتُجِ عنه من أعمال غَيْرِ حميدة.

وقال الآخر: (الكامل)

قالوا اقْتَرِحْ شَيْئاً نَجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبُخوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصا

أي خيطوا لي جبة وقميصاً، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام.

ويقول حبنّكة: " ويتسرّع بعض البلاغيين وغيرُهُمْ فيُمَثِّلونَ بأمثلة قرآنية على المشاكلة، وهي لدى التحليل اللّغوي والرجوع إلى أصول المعاني لا يصحّ اعتبارها من المشاكلة، كألفاظ المكر، والكيد، والسيئة". [2] وثانيها أن كيده تعالى بهم هو إمهاله إياهم على كفرهم حتى يأخذهم على غرة. [3] "وقد اتفق السلف، أنه لا ينسب إلى الله تعالى على

---

(١) جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد القرشي (ت ١٧٠هـ) تح، علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: ٣٠٠.

(٢) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم– دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م ٤٣٨/٢.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب ١٢١/٣١

سبيل الإطلاق، ولا يجوز أن يشتق له منه اسم، وإنما يطلق في مقابل فعل العباد؛ لأنه في غير المقابلة لا يليق باللَّه تعالى، وفي معرض المقابلة فهو في غاية العلم والحكمة والقدرة، والكيد أصله المعاجلة للشيء بقوة. (١) وفي الآية استئناف بياني ينبئ عن سؤال سائل يَعْجَب من إعراضهم عن القرآن مع أنه قول فصل ويعْجَب من معاذيرهم الباطلة مثل قولهم: هو هزل أو هذيان أو سحر، فبُين للسامع أن عملهم ذلك كيد مقصود. فهم يتظاهرون بأنهم ما يصرفهم عن التصديق بالقرآن إلا ما تحققوه من عدم صدقه، وهم إنما يصرفهم عن الإيمان به الحفاظ على سيادتهم فيضللون عامتهم بتلك التعلات الملفقة. والتأكيد بـ (إنَّ) لتحقيق هذا الخبر لغرابته، وعليه فقوله: (وأكيد كيداً) تتميم وإدماج وإنذار لهم حين يسمعونه. ويجوز أن يكون قوله: (إنهم يكيدون كيداً) موجهاً إلى رسول الله ﷺ تسلية له على أقوالهم في القرآن الراجعة إلى تكذيب من جاء بالقرآن. أي إنما يدَّعون أنه هزل لقصد الكيد وليس لأنهم يحسبونك كاذباً على نحو قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام. (٢) وفي هذا تهديد ووعيد للكافرين، وبشارة للمؤمنين بأن الله معهم يدبّر أمرهم وإذا كان الله معنا فمن علينا؟

﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾

قال الفيروزآبادي: الآية "من المتشابه وهذا تكرار، وتقديره: مهِّل مهِّل؛ لكنَّه عدل في الثاني إلى (أَمهل) ؛ لأَنَّه من أَصله، وبمعناه: كراهة التكرار، وعدل في الثالث إلى قوله: {رُوَيْداً} ؛ لأَنَّه بمعناه، أي أَرْودهم إرواداً. ثم صُغِّر (إرواداً) تصغير التَّرخيم، فصار: رويداً. وقيل: (رويدًا) صفة

(١) تتمة أضواء البيان١٣٤/٢

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٦٧/٣٠

مصدر محذوف، أي إمهالاً رُوَيْدًا، فيكون التكرار مرّتين. وهذه أُعجوبة". [١] وكرّر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير. [٢]

قال ابن قتيبة: ومعنى «رويداً» مهلاً، ورويدَك. بمعنى أمهل. فإذا لم يتقدمها «أمهلهم» كانت بمعنى «مهلاً». ولا يتكلم بها إلا مصغرة ومأموراً بها، وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير معنى الأمر. [٣] قال الشاعر: (البسيط)

يَمْشِي وَلا تُكْلِمُ الْبَطْحاءُ مَشْيَتَهُ كأنَّها مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلى رُوَدِ [٤]

ولما كانت صيغة التفعيل ربما أفهمت التطويل، أكد ذلك مجرداً للفعل دلالة على أن المراد بالأول إيقاع الإمهال مع إن زمنه قصير بالتدريج ليطمئن الممهل بذلك وتصير له به قوة عظيمة ودرته ؟ وعزيمة صادقة ؛لأن ما يقولونه مما تشتد كراهة النفوس له، فلا يقدر أحد على الإعراض عنه إلا بمعونة عظيمة: (أمهلهم) أي بالإعراض عنهم مرة واحدة بعد التدريج لما صار لك على حمله من القوة بالتدريج، (رويداً) أي إمهالاً يسيراً فستكون عن قريب لهم أمور، وأي أمور تشفي الصدور، وهو تصغير (إرواداً) تصغير ترخيم، وهي كلمة تعطي الرفق، وهذا الآخر هو المراد بما في أولها من أن كلاً منهم ومن غيرهم محفوظ بحفظه مضبوطة أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته وأحواله، فإن ذلك مستلزم لأنه في القبضة، فقد التقى الطرفان على أعظم شأن بأبين برهان. [٥] وفي الآية بعث للطمأنينة إلى قلوب المؤمنين الذين كانوا يخشون

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) تح، محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ٥١٢/١.

(٢) ينظر: الكشاف ٧٣٨/٤

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تح، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ٢٩٦

(٤) البيت للجموح الظفري في شرح أشعار الهذليين ص ٨٧٢

(٥) ينظر: نظم الدرر ٣٩٠/٨

صولة الكفار ويحذرون اعتداءاتهم التي لا حد لها، وتخويف لهم من عاقبة إصرارهم على ما هم فيه من الكفر والمشاقّة لله ورسوله وللمؤمنين، وتأنيساً له، عليه السلام ، وإعلاماً أن العاقبة له، وأنه سيستجيبُ له غيرهم ممن سبقت له الحسنى فأناب وتذكر. (١) وذهب بعض المفسرين أن الآية نسختها آية السَّيْف قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۝٥ ﴾ التوبة. (٢) ولكن المتدبر للآية الكريمة ومعناها وما تضمنته من وعيد فلا نسخ فيها. (٣)

نتائج البحث

لما كان لكل عمل خاتمة يقف عندها لبيان ما توصل إليه، فقد وقفت على عدة نتائج نوجزها في الآتي:

❖ لقد اشتملت السورة على قصرها وإيجازها على أغراض بلاغية متنوعة ابتداءً من حسن المطلع إلى حسن خاتمتها، فقد اشتملت السورة على حفظ الإنسان وحفظ أسباب حياته المادية التي تكون بإنزال الغيث وإنبات الأرض وحفظ أسباب الحياة المعنوية بحفظ القرآن الكريم، ومراقبة أعمال الإنسان وحفظه ومجازاته به.

❖ تناسب السورة مع التي قبلها والتي بعدها، وهذا أوضحناه في التوطئة.

❖ تناسب آيات السورة بعضها مع البعض وكأنها نسيج واحد، على الرغم من تنوع الفاصلة.

❖ كان للتقديم والتأخير أثر واضح في السورة الكريمة لما أفاده من اهتمام وتوكيد ومراعاة للفاصلة.

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، (ت ٧٠٨هـ) وضع حواشيه، عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٤٥٦/٢.

(٢) الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة المقري (ت ٤١٠هـ) تح، زهير الشاويش , محمد كنعان الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م، ١٩٦.

(٣) ينظر: نواسخ القرآن، جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تح، محمد أشرف علي المليباري، وأصله رسالة ماجستير – الجامعة الإسلامية – الدراسات العليا – التفسير، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ٣٧/٢.

❖ شكّلت المقابلة ظاهرة بارزة في السورة الكريمة ولاسيما في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ ﴾ الطارق. فضلاً عن الطباق الخفي في قولـــه: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ ﴾ الطارق، لأن الصلب يعود إلى الرجل، والترائب للمرأة.

❖ كان للفعل المبني للمجهول حضورٌ فاعلٌ في السورة الكريمة، وذلك لزيـــادة التنبيـــه، وأن الفاعل حذف لأنه معلوم وذلك في قوله ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ ﴾ الطارق.

❖ اشتملت السورة على أساليب توكيد متنوعة منها القسم والتوكيد بالحروف والتوكيد بالضمير والتقديم والتأخير، وذلك ردّاً على المنكرين والجاحدين لنزول القرآن على الرسول ﷺ.

❖ ورد اسم الفاعل في السورة الكريمة في أكثر من موضع، وهذا يدل على الحضور.

❖ السورة جمعت علوم البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، إلا أن حظ علم المعـــاني كان كبيراً، ثم البيان، ثم البديع.

AL-Tariq Sura
A Rhetorical- Analytical study
Lect.Dr.Amar Ismail Ahmed

Abstract

This paper deals with a chapter of the glorious Quran that is AL- Tariq chapter to investigate its miracle and the rhetoric of its structure despite of its short verses, it contains different rhetoric arts covers the type of Arabic rhetoric the chapter is based on objective division rather than the traditional rhetoric one. The paper is divided into three aspects.

١- swearing by heawn and its stars.

٢- showing the creation of man.

٣- discussing the holly Quran and the prophets, miracle.

This paper is concluded by the following the significance of swearing by the Quran. the importance of questioning and its influence on the receiver.